لغة التوجيه الاجتماعي

ترجمة وتحليل

صبيحة عبد الرحمن الفرحان

ترجمة الفصل السابع "لغة التوجيه الاجتماعي"THE LANGUAGE OF SOCIAL "CONTROL" من كتاب (اللغة في العقل والفعل) (LANGUAGE IN THOUGHT AND ACTION)

"لم يحظ تأثير العبارات الجهورية الرنانة المتوالية عن السلوك البشري بدارسة كافية"

ثيرمن أرنولد

النص المترجم:

تبرز العلاقة بين الكلمات والأحداث المستقبلية بوصفها الأكثر غرابة وغموضًا من بين العلاقات تكون بين الكلمات والأشياء. فعندما نقول على سبيل المثال: "تعال هنا"، فحن لا نصف العالم الممتد أي الموجود حولنا ولا نعبر عن مشاعرنا تجاه هذا العالم، بل نحاول إحداث تغيير وتحقيق شئ ما.

إن ما نسميه ب "الأوامر" و" المطالبات" و"المناشدات" و"الطلبات" هي أيسر الطرق التي ننتهجها من أجل إحداث تغيير باستخدام الكلمات، غير أن هناك طرقاً أخرى ملتوية تحقق ذلك أيضًا. فعلى سبيل المثال، عندما نقول: "ولكننا في الوقت، إن مرشحنا أمريكي عظيم"، فإننا بالطبع نستخدم عبارة حماسية لمدح ذلك المرشح نفسه فنحاول التأثير على الناخبين. وبالمثل عندما نقول: "إن حربنا ضد العدو حربًا لله وحتمًا سننتصر بإذن الله"، فإن ذلك قول لا يمكن إثباته علميًا ولكنه قد يؤثر على الآخرين ويدفعهم إلى دعم الحرب أو الكلام غير المكتمل حتي إقرارنا بحقيقية "أن اللبن يحتوي على الكالسيوم" قد يدفع الآخرين لشراء اللبن.

وإذا نظرنا إلى تلك العبارة "سأقابلك غدًا في الساعة الثانية أمام محطة الاتحاد" إن مثل تلك العبارة عن الأحداث المستقبلية لن يكون لها معني إلا إذا تحققت في ظل نظام تنفصل فيه الرموز عن دلالتها. إن المستقبل شأنه شأن الماضي، مفهوم إنساني. فعبارة "الهمبورجر غدًا" لا معنى لها عند الكلب، فعلى أقصى تقدير قد ينظر إليك الكلب وكله توقع وأمل أن يظهر هذا الهمبورجر الوجودي الحقيقي الآن. وبالمثل يخزن السنجاب الغذاء تحسبًا لفصل الشتاء القادم، ولكن في واقع الأمر يخزن الغذاء الشتاء القادم دون النظر إلى حاجته والبحث عن كونها أشبعت أم لا، وهو إن دل علي شيء فيدل على أن مثل هذا السلوك هو سلوك فطري لا تحركه رموز أو محفزات لها دلالة معينة. ويتميز البشر و ينفردون بقدرتهم على التعامل وإبداء ردة فعل مناسبة مع مثل هذه التعبيرات "السبت القادم" و"أتعهد بالدفع بعد مرور عشرين عامًا من الآن" وبعبارة أخرى، يمكن رسم خريطة لأرض ليست موجودة الآن بالفعل على أرض الواقع ونستطيع فرض بعض التوقعات على المستقبل وأحداثه مسترشدين بوسائل كتلك الخرائط الخاصة بالأراضي "المزمع إنشاؤها".

ولذا يمككنا القول إن الكلمات تؤثر على المستقبل وتتحكم فيه لدرجة كبيرة ويعد ذلك السبب الذي يدفع الكتاب للكتابة، ورجال الدين للوعظ ويدفع المديرون وأصحاب العمل والآباء والمعلمون للتوبيخ ويدفع المروجين لدعوة أو قضية معينة إلى نشر بيانات صحفية ويدفع الساسة إلى إلقاء الخطابات، و

يحاول جميعهم، على اختلاف أسبابهم، التأثير على سلوكنا تارة لصالحنا وتارة أخري لصالحهم ويمكن تسمية تلك المحاولات الرامية إلى التحكم بالسلوك البشري مستقبلا أو توجيهه أو السيطرة عليه باستخدام الكلمات بالاستخدامات الموجهة للغة .

إذا ما أردنا للغة الموجهة أن توجه بفعالية، فلا يمكن لها أن تكون لغة جافة أو مملة، إذا أردنا أن تؤثر اللغة على سلوكنا، فلا بد لنا من استخدام عنصر العاطفة الموجود باللغة مثل: تغيير طبقات الصوت بشكل دارمي مؤثر أو مفاجئ، واستخدام القافية والإيقاع والخرخرة والزمجرة والضوضاء غير المفهومة ستثير مشاعر الحضور فيجب إذًا استخدامها، وإذا كان استخدام الحقائق سيثير مشاعرهم، يجب إذًا تقديم الحقائق، وإذا كانت المثل العليا ستثير مشاعرهم فيجب أن نقدم مقترحاتنا في صورة أهداف تتسم بالنبل، وإذا كانوا لن يستجيبوا إلا للخوف فعلينا حينئذ أن نجعل فرائصهم ترتعد من الخوف.

وتتحدد طبيعة الوسائل التي تخاطب العاطفة في اللغة الموجهة بطبيعة أهدافنا، فإذا أردنا أن نوجه العامة إلى معاملة الآخرين بالحسنى، فبالطبع لن نثير مشاعر حقد أو كراهية وإذا حاولنا توجيه الناس إلى التفكير والتصرف بحنكة وذكاء فبالطبع لن نستخدم وسائل استمالة لا منطقية. وإذا أردنا لهم حياة أفضل فإننا بالطبع سنستخدم وسائل استمالة تثير أفضل مشاعرهم وتدخل روائع الأدب التي تحظي بتقدير الجميع ضمن اللغة الموجهة مثل: الكتب المقدسة المسيحية وتعاليم كونفوشيوس وكتاباته وكتاب "المحاكمة" لجون ميمتون وخطبة "جيتسبرج" التي ألقاها لينكون. وفي بعض الأحيان يتضح أن اللغة العاطفية وحدها لا تكفي لتحقيق النتائج المرجوة؛ لذا تستخدم مع اللغة الموجهة بعض الوسائل غير اللفظية لاستثارة العاطفة التي تختلف في طبيعتها فقد نضيف إلى عبارة "تعال هنا" إشارة بأيدينا ولا يكتفي مقدمو الإعلانات بالكلمات للتعبير عن جمال منتجاتهم بل يضيفون عنصر اللون والصوت والحركة.

وقد تكمل عناصر مثل اللباس التقليدي الديني والبخور والمواكب والمرتلين وأجراس الكنيسة الاستثارة العاطفية للخطب الدينية والمواعظ. وقد يزيد مرشح يسعى للفوز بمنصب حكومي مهم تأثير خطاباته باستخدام مجموعة عناصر غير لفظية لاستمالة العاطفة مثل: فرق الموسيقى النحاسية والأعلام والعروض العسكرية وحفلات الشواء ومآدب العشاء الرسمية. ولذا يمكننا القول الآن إننا إذا أردنا توجيه الناس لفعل أشياء بعينها دون الاكتراث بأسبابهم، فإن كل الاستمالات العاطفية مطروحة دون استثناء لأي منها. فإذا أراد بعض المرشحين السياسيين إقناعنا بضرورة التصويت لصالحهم بغض النظر عن أسبابنا لفعل ذلك، ففي حال كنا نكره الأغنياء فسيزمجرون ويهاجمون الأغنياء من أجلنا؛ وفي حال كرهنا للنقابات العمالية سيهاجمون أعضاء تلك النقابات العمالية.

وإذا ود أصحاب الشركات التجارية في جعلنا نشتري بعض منتجاتها بغض النظر عن أسبابنا لفعل ذلك، إذا كان خلق الأوهام والخيالات سيدفعنا إلى شراء تلك المنتجات، فسوف يسعون إلى خلق الأوهام والخيالات، وإذا كنا نرغب في جذب انتباه الجنس الآخر، فسيقطعون وعودًا بأننا سنستطيع غواية الطرف الآخر في الحال، وإذا كنا دائمي الإعجاب بالجميلات فسيربطون بين منتجاتهم وبين الجميلات سواء كانوا يبيعون كريمًا للحلاقة والسيارات ومنتجعات للصيف أو الآلات.

الوعود الضمنية للغة التوجيهية:

فضلًا عن مجرد جذب الانتباه أو استثارة مشاعر جميلة، تخبرنا العبارات التوجيهية عن المستقبل فتلك اللغة بمثابة "خرائط"، إما تصريحًا أو تلميحًا، "الأرض" ستظهر أو تتشكل مستقبلًا. فهي توجهنا إلى فعل أشياء بعينها ويصحب ذلك وعود صريحة أو ضمنية أننا إذا قمنا بتلك الأشياء فستتحقق نتائج معينة مثلا: "إذا التزمت بإعلان حقوق المواطنين ستحمي حقوقك المدنية"، "وإذا أدليت بصوتك لصالحي، سأخفض الضرائب المفروضة عليك"، "تناول شوكولاكس واستمتع بذاك الشعور الرائع"، "اتبع المبادئ الدينية في حياتك وستنعم براحة البال"، "اقرأ تلك المجلة وستتابع أهم الأحداث الجارية"، وغني عن القول إن بعض الوعود قد لا تتحقق وقد يتحقق بعضها الآخر. و نحن نسمع يوميًا وعودًا نعلم يقينًا أنها لن تتحقق.

وسيكون من غير المجدي أن يعترض البعض، كما يفعلون بشأن الإعلانات ولغة الدعاية (البروباجندا prapaganda)، النوع الوحيد من اللغة التوجيهية الذي يلقى اهتمامًا، بزعم أن تلك اللغة تعتمد على "المناشدات العاطفية". ما لم تشمل اللغة التوجيهية استثارة عاطفية تزيد من قوتها، فلن يكون لها أي تأثير. فنحن لا نعارض الحملات التي تطالبنا "بالتبرع للصندوق المالي لمساعدة المعوزين وتمكين الفقراء من التمتع برعاية أفضل، ولا نمتعض من تذكيرنا بحبنا للوطن، والأصدقاء والأمة عندما يمطرنا الآخرون باللغة التوجيهية الأخلاقية أو الوطنية. إن السؤال الأهم الذي يجب طرحه عند التعامل مع اللغة التوجيهية هو "هل ستتحقق الأشياء التي وعدنا بها إذا فعلنا ما توجهنا إليه هذه اللغة؟، إذا قبلت فلسفتك، هل سأنعم براحة البال؟ إذا صوت لك هل ستنخفض قيمة ضرائبي، وإذا استخدمت صابون "دوف" فهل سيعود إلي حبيبي؟" نحن نعارض، ومن حقنا، مقدمي الإعلانات الذين يقدمون إعلانات تحتوي على ادعاءات كاذبة ومضللة ونعارض السياسيين ممن لا يوفون بعهودهم. وبسبب طبيعة الحياة التي تتسم ببعض الغموض والمفاجآت التي لا يمكن التنبؤ بها، نحاول دائمًا أن نكتشف ماذا سيحدث مستقبلا لنحضر أنفسنا.

وتتعهد العبارات التوجيهية بالقيام بذلك، فهي تخبرنا عن كيفية تحقيق الأحداث المنشودة وتلافي الأحداث غير المرغوب فيها وإذا اعتمدنا على ما تخبرنا به اللغة التوجيهية، فسنقلل من قدر الغموض بالحياة، ولكن عندما تقترن عبارات اللغة التوجيهية بأشياء لا تحدث كما هو متوقع فمثلا عندما نلتزم بما وجهنا إليه دون الحصول على راحة البال ولا خفض الضرائب ولا عودة الحبيب، فسوف نشعر بالإحباط، ونظرًا لانتشار تلك الاحباطات، عظمت أم صغرت، لم نعد ننزعج منها لدرجة الشكوى من معظم تلك الإحباطات، ولكن لكل منها دلالات مهمة.

ويسهم كل شعور بالاحباط في خصم رصيد الثقة المتبادلة التي تسهل التعاون بين الأفراد في المجتمع وتربطهم بعضهم ببعض. ولذا فإننا علينا جميعًا، من يتفوه باللغة التوجيهية وما يصاحبها من وعود صريحة أو ضمنية، واجبًا أخلاقيًا يتمثل في ضمان أننا لا نثير توقعات كاذبة. يمثل الساسة الذين يعدون بالقضاء الفوري على الفقر ومقدمو الإعلانات ممن يلمحون بأن الزواج المشرف على الانهيار يمكن إصلاحه بتغيير ماركة المنظف الذي تستخدمه الأسرة، والجرائد التي تحذر من انهيار الأمة ما لم يجر انتخاب الحزب الذي يروجون له، يمثل هؤلاء جميعًا ممن يتفوهون بمثل هذا الآراء

تهديدًا للنظام الاجتماعي للأسباب المذكورة. ولا يهم كثيرًا إذا ما كانت تلك العبارات التوجيهية المضللة تقال عن جهل أو خطأ أو عن عمد ونية مبيتة للخداع؛ لأنه في الحالتين تدمر تلك العبارات الثقة المشتركة بين البشر.

أساسات المجتمع:

يطلق على شبكة العلاقات الواسعة من الاتفاقات المتبادلة بين الناس اسم المجتمع. فقد اتفقنا على قيادة السيارة على الجانب الأيمن للطريق واتفق الآخرون على ذلك أيضًا، واتفقنا على توريد بضائع بعينها واتفق الآخرون على الدفع مقابل الحصول على تلك البضائع. ووافقنا على اتباع القواعد الخاصة بمنظمة ما ووافقنا على أن نحظى بامتيازاتها. إن تلك الشبكة شديدة التعقيد التي تشتمل على كل التفاصيل والتي تستمد عمليًا توقعاتها عن الحياة تتكون بشكل أساسي من عبارات عن أحداث مستقبلية يفترض أن نحققها بجهودنا. وبدون تلك الاتفاقيات، لن يقوم المجتمع؛ سنختبئ جميعًا في كهوف غير قادرين على أن يثق ببعضنا في بعض وستصبح الحياة كما وصفها الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز "بغيضة ووحشية وقصيرة"، ومع مثل تلك الاتفاقات المصحوبة بإرادة غالبية من يعيشون في المجتمع والتزامهم بتلك الاتفاقات، ينتظم السلوك البشري في صورة أنماط متوقعة ويصبح التعاون ممكنًا ويتحقق السلم والحرية.

وبناءً على ذلك إذا أردنا الاستمرار كمجتمع إنساني، يتعين علينا فرض أنماط السلوك علينا جميعًا. كما يتعين علينا إلزام المواطنين بالالتزام بالأعراف المجتمعية والحضرية، فعلى الزوجات والأزواج أن يتحلوا بالأمانة وعلى الجنود أن يتحلوا بالشجاعة وعلى القضاة أن يتسموا بالعدل وعلى القساوسة أن يتحلوا بالتقوى وعلى المعلمين أن يراعوا مشاعر تلاميذهم حفاظًا عليهم. وفي المراحل الأولية للحضارة كان العنف الجسدي هو الوسيلة الرئيسية لفرض أنماط السلوك. وقد أدرك البشر منذ بدء التاريخ أن بإمكانهم التأثير والتحكم باستخدام الكلمات أي اللغة التوجيهية. ولذا فإن الأوامر التوجيهية الخاصة بالأمور التي يعدها المجتمع ضرورية لأمنه تتسم بنبرة حازمة حتى يدرك جميع الأفراد حجم المسؤولية والإلزام والتأكيد على ذلك يعزز المجتمع قوة تلك العبارات بمصاحبتها بالعقاب وقد يتضمن العقاب الحبس أو القتل لمن لا يلتزم بتلك الأوامر.

أوامر توجيهية وعقوبات جماعية:

تعد تلك العبارات التوجيهية المنطوية على عقوبات جماعية والتي تحاول فرض أنماط سلوكية معينة على الفرد تصب في صالح المجموعة من أكثر الأحداث اللغوية خصوصية. فهي لا تتميز بالطقوس الخاصة بها فحسب، بل هي أيضًا الغرض الأساسي لوجود هذا الطقس. ولا نتعامل مع أية عبارات بدرجة الجدية نفسها ولا تؤثر العبارات الأخرى تأثيرًا كبيرًا في حياتنا مثلما تفعل تلك العبارات، تدخل دساتير الأمم ولوائح المنظمات والعقود القانونية وعبارات القسم وحلف اليمين في هذا النوع، فمثل هذه العبارات هي المكون الرئيس في وعود الزواج والإدلاء بالشهادات ومراسيم التنصيب وشعائر إدخال شخص ما إلى جماعة. إن القوانين اللفظية، هي عملية وضع تلك الأوامر التوجيهية في صورة منهجية ومجمعة ومعدلة على مر القرون. وتبذل المجتمعات أقصي جهد جماعي لها في صياغة قوانين يمكن لها أن توفر قابلية للتنبؤ بالسلوك البشري.

قد تشمل العبارات التوجيهية المقترنة بعقوبة جماعية إحدي السمات التالية أو جميعها: تتسم العبارات التوجيهية المرتبطة بعقوبات جماعية بإحدى الصفات الآتية أو كلها:

١- غالباً ما تصاغ تلك العبارات التوجيهيه بكلمات ذات دلالات عاطفية وذلك حتى تؤدي دورها كما ينبغي في التأثير على الناس وإدخال الرهبة فتستخدم في ذلك ألفاظ قديمة ومهجورة، أو أساليب متكلفة تختلف تمامًا عن لغة الحياة اليومية.

ومن الأمثلة على ذلك: "هل تقبل يا جون هذه المراة زوجة شرعية لك، و"إنه في اليوم العاشر من شهر يوليو عام ألف وتسعمائة وتسعين من الميلاد حرر هذا العقد بين كل من صامويل سميث، ويشار إليه فيما يلي بكلمة "المؤجر"، وجيريمي جونسون ويشار إليه فيما يلي بكلمة "المستأجر"، وقد تقرر ما يلي: يؤجر المؤجر نظير التعهدات والاتفاقات الواردة في هذا العقد للمستأجر مسكنًا خاصًا العقار المتعارف عليه والموصوف بما يلي...".

٢- غالباً ما يصاحب تلك العبارات التوجيهية التوسل لقوى غيبية وذلك إما لطلب المساعدة بتنفيذ العهود أو إنزال العقاب إذا تخلفنا عن ذلك فعلى سبيل المثال، يختتم القسم عادة بكلمات مثل "والله الموفق والمستعان، وكذلك تأتي التعهدات الهامة مصحوبة بالصلوات والأدعية والابتهالات وذلك في كل الثقافات من أكثرها بدائية إلى أكثرها تحضرًا.

٣- تبين تلك العبارات التوجيهيه أيضًا سواء بالتصريح أو بالتلميح أنه إذا لم ينزل بنا ذلك العقاب الإلهي لتخلفنا عن تنفيذ ما وعدنا به واتفقنا عليه، فإن المجتمع لن يتخلف عن عقابنا على ذلك. فكما ندرك جميعًا يمكن أن يتعرض لعقوبة السجن كل متهم بالهجر أو الامتناع عن الإنفاق على الأسرة أو تعدد الأزواج أو الزوجات ويمكن أن يقاضى من يخل بالعقود، ويعزل من يرتكب أفعالاً تخالف تعهدات الكهنوت، ويفضل من يمارس سلوكًا لا يليق بمسئول ولا ينحى كل من يخون الأمانة ويعدم ويسجن من يقتل.

٤- قد يسبق إعلان الوعود رسميًا أشكال متعددة من الضوابط التمهيدية مثل حضور دوارت تدريبية حول معاني تلك الوعود، أو الصوم والتنسك قبل الالتحاق بالكهنوت، أو مثل طقوس الشروع التي تتضمن تعذيبًا جسديًا مثلما يحدث عند الانضمام لصفوف المحاربين في بعض الشعوب البدائية أو حتى في حالة الانضمام إلى عضوية بعض كلية الأخويات.

٥- قد يصحب أيضًا النطق بتلك العبارات التوجيهية بعض الفعاليات أو الحركات الجسدية وكلها معدة ومرسومة لكي يرسخ الحدث في الأذهان. ومن الأمثلة على ذلك أن يقف كل من في قاعة المحكمة عند دخول القاضي، وكذلك إعداد المواكب الضخمة وارتداء الأزياء الفاخرة في حفلات التتويج أو ارتداء الأثواب الجامعية في حفلات التخرج، وكذلك الاستعانة بالعازفين والمطربين في حفلات الزفاف وارتداء ملابس خاصة في تلك المناسبة.

٦- قد يلي النطق بتلك الوعود إقامة المآدب أو الرقص أو أية مظاهر احتفالية أخرى، حيث إن الغرض من ذلك مجددًا هو تدعيم أثر تلك الوعود أكثر فاكثر. فهناك على سبيل المثال حفلات الزفاف، والحفلات الراقصة التي تعقب حفل التخرج والمآدب التي تقام لتنصيب المسئولين. وحتى في أكثر

الدوائر الاجتماعية تواضعًا يقام شكل من أشكال الاحتفال حينما يعقد أحد أفراد الأسرة صورة من صور الاتفاق مع المجتمع، وقد يلي أيضًا طقوس الشروع في الثقافات البدائية الاحتفال والرقص الذى يستمر لأيام وأسابيع.

٧- وفى الحالات التي لا يصحب فيها إعلان هذه الوعود مراسم احتفالية خاصة تكون كثرة التكرار غالبًا هي الوسيلة المستخدمة لكي تترك تلك الوعود أثرها في الذاكرة، ومن الأمثلة على ذلك تحية العلم ("أتعهد أن أكون مخلصًا لعلم الولايات المتحدة ...") التي تردد يوميًا فى بعض المدارس، وكذلك الشعارات وهى أوامر توجيهية عامة وموجزة تُعرض مرارًا وتكرارًا بوسائل مختلفة، فأحيانًا تطبع على الأطباق وأحيانًا تحفر على سيوف المحاربين أو تنقش في أماكن بارزة مثل البوابات والحوائط والمداخل فيتمكن الناس من رؤيتها ويتذكرون ما عليهم من واجبات.

أما القاسم المشترك في كل تلك الفعاليات التي تصاحب العبارات التوجيهية وكذلك في العناصر العاطفية المستخدمة في تلك العبارات فهو الأثر البالغ الذي يُحفر في الذاكرة، فهي تثير الانطباعات الحسية بكل أشكالها بداية من الألم الحاد لطقوس الشروع وحتى ملذات الولائم ومباهجها، وتستخدم في ذلك كل ما يمكن استخدامه من موسيقى وملابس فاخرة وديكورات مزينة، فتثار كل العواطف بداية من خشية العقاب الإلهي وحتى الزهو والفخربالحصول على اهتمام خاص من الناس. والهدف من ذلك كله هو ألا ينسى أبدًا كل من يوقع عقدًا مع المجتمع أن ينفذه؛ أي ألا ينسي أبدًا من يرسم خريطة ذلك المكان الذي لم ينشأ بعد أن عليه بذل جهده لتحويله المجتمع أن ينفذه؛ أي ألا ينسى أبدًا الرجوع إلى حقيقة.

ولهذا فإن كل من يمر بمثل تلك الأحداث والمناسبات لا ينساها. فالضابط المبتدئ لا ينسى تكليفه بأول مهمة، والصبي اليهودي لا ينسى الاحتفال بتحوله إلى رجل مكلف بممارسة شعائره الدينية وكذلك الكاهن عند تقديمه نذور الرهبنة وضابط الشرطة عند تسلمه شارته. ولا ينسى المواطن الذي ولد خارج الولايات المتحدة حصوله على جنسيتها واعتباره أحد مواطنيها، كما لا ينسى رئيس الجمهورية حلفه اليمين وتسلمه مهام منصبه، وحتى إذا وجد أي من هؤلاء فيما بعد أنه لم ينفذ ما تعهد به فإنه لا يستطيع التخلص من الشعور بالذنب وبإنه كان يجب أن يحقق وعوده. وكلنا بلا شك نستخدم تلك العبارات التوجيهية التي تصحبها المراسم والطقوس ونتجاوب معها. وما نتجاوب معه تحديدًا من عبارات وخطب هو ما يحدد بدقة ويكشف بوضوح انتماءاتنا الدينية والوطنية والاجتماعية والعلمية والسياسية، ربما أكثر مما تكشفه وثائق الجنسية أو بطاقات العضوية أو الشارات التي نحملها، فمن يتحول من دينه إلى دين آخر قد يشعر في بعض الأحيان بالرغبة في العودة إلى الدين السابق حين يرى أو يسمع إحدى شعائر هذا الدين التي كان يمارسها في طفولته. فالإنسان يلجأ إلى كل تلك الطرق السابقة لكي يجعل المستقبل في متناول يده ويتحكم في سلوك غيره من البشر.

وينبغي أن نقول: إن العديد من الأوامر التوجيهية الاجتماعية في حياتنا وكذلك ما يصاحبها من طقوس ما هي إلا أمور بالية بل ومهينة بعض الشيء للعقل الراشد. فمن لديه بالفعل شعور بالمسئولية الاجتماعية لا يحتاج مثلاً إلى الطقوس التي تهدف إلى ترهيب الناس وإخافتهم لكي يسلكوا سلوكاً حسناً. ومن الأمثلة على ذلك أن ينجح زواج أقيم في مراسم بسيطة استغرقت خمس دقائق لأن

الزوجين ناضجان وقادران على تحمل المسئولية، ولا ينجح زواج آخر أقيم من أجله حفل زفاف كنسي حضره الناس بملابس رسمية وذلك لأن الزوجين غير ناضجين بشكل كاف. وعلى الرغم من أن قوة تلك الأوامر التوجيهية الاجتماعية تكمن في ذكاء من توجه إليهم وكذلك نضجهم وموافقتهم عليها، فما زال هناك رغبة سائدة في الاعتماد على القدرة التأثيرية للطقوس في ذاتها. تأتي هذه الرغبة بالطبع من اعتقاد ممتد في الكلام السحري ؛ أي الاعتقاد بأننا إذا أردنا شئيًا مرارًا وتكرارًا أو بطريقة طقسية أو شعائرية معينة فإننا بذلك نحصن مستقبلنا بتعويذة ما ونجبر الأحداث على السير في المسار الذي حددناه. وهناك أمثلة واضحة للتعامل مع الكلمات والطقوس بهذا المنطق المؤمن بالخرافات، ومنها مثال مثير للاهتمام يقدمه هؤلاء الذين يعتقدون أن أفضل طرق تعميم المواطنة لأطفال المدارس هي تكرار إقامة مراسم تحية العلم بدلاً من زيادة الوقت المخصص لدراسة المؤسسات الديمقراطية بشكل فعلي والتدريب اليومي على الممارسات الديمقراطية .

ما هي "الحقوق"؟

ما هو المعنى الواسع لضمير الملكية "ياء" في "أملاكي" أو "كتابي" أو "سيارتي"؟ من المؤكد أن هذا الضمير لا علاقة له بخصائص تلك الأشياء، فالملكيات تتغير وتصبح "سيارتك" "سيارتي" ولا يتغير شيء في السيارة نفسها. فما الذى تغير إذاً؟

إن ما تغير هو الاتفاق الاجتماعي الذي يحدد كيفية تصرفنا في السيارة، ففي السابق حينما كانت السيارة تتمتع بحرية استخدامها كيفما تشاء بينما لا أتمتع أنا بذلك. ولهذا فإن معنى الملكية لا يكمن في العالم الخارجي ولكن في كيفية تصرفنا في هذا العالم. فالمجتمع حينما يعترف بحقي في الملكية (بإصداره وثائق تثبت ملكيتي للسيارة على سبيل المثال)، فإنه بذلك يوافق على حماية رغبتي في استعمال السيارة ويحبط محاولات هؤلاء الذين يريدون استعمالها دون إذني. إن المجتمع يعقد هذا الاتفاق معي في مقابل إطاعتي قوانينه ودفع نصيبي من نفقات الحكومة.

ألا يفهم من ذلك أن كل ما يثبت الملكية وكل ما يقال عن "الحقوق" هو بمثابة أوامر توجيهية؟ ألا تعني ملكيتي للشيء توجيهًا بأنني أنوي استخدامه فعلى الجميع أن يرفع يده عنه؟ ألا يمكن أن تفسر عبارة "لكل طفل الحق في التعليم " على أنها توجيه بمنح التعليم لكل طفل؟ أو ليس الفرق بين "حقوق الإنسان" أو "الحقوق الأدبية" من ناحية و"الحقوق المدنية" أو "الحقوق القانونية" من ناحية أخرى هو ذاته الفرق بين ما يعتقد الناس أنها اتفاقات ينبغي عقدها وبين تلك التي قد عقدت بالفعل من خلال ربطها بعقوبات تشريعية جماعية.

الأوامر التوجيهية وخيبة الأمل:

قبل الانتقال من موضوع اللغة التوجيهية إلى موضوع آخر ينبغي ذكر بعض التحذيرات:

أولاً: الكلمات لا تقول كل شيء، ولذلك علينا أن نتذكر أن الوعود التي تنطوي عليها اللغة التوجيهية ليست أكثر من مجرد خريطة تضع الخطوط العريضة لأماكن مزمع إنشاؤها، وأن المستقبل هو الذى يحدد ما ستؤول إليه الأمور، والمستقبل في أغلب الأحيان يسلك مسارات غير متوقعة، فقد يكون بعيدًا كل البعد عما رسمناه من خرائط رغم بذلنا الجهد اللازم لتحقيق ما وعدنا به، فنحن نقسم أن نكون مواطنين صالحين وأن نقوم دائمًا بواجبنا، هكذا، ولكننا لا ننجح بالضرورة في أن نكون

مواطنين صالحين في كل يوم من أيام حياتنا أو أن نقوم بكل ما علينا من واجبات ولذلك فإدراكنا أن اللغة التوجيهية لا يمكن أن تفرض على المستقبل شكلاً محددًا يجنبنا تعليق آمال مستحيلة وبالتالي يحمينا من خيبات أمل لا حاجة لنا بها.

ثانيًا: يجب التمييز بين العبارات التوجيهية والعبارات الخبرية، فهناك العديد من العبارات التي تضع أهدافًا، ولكنها لاتصف بالضرورة الوضع القائم كأن نقول "فتى الكشافة نظيف وشهم وشجاع" أو "ضباط الشرطة المدافعون عن الضعفاء". إن التمييز بين هذين النوعين من العبارات أمر مهم للغاية؛ لأن الناس غالبًا ما يظنون أن هذه العبارات تصف وضعًا قائمًا بالفعل وبالتالي يصدمون ويفزعون ويصابون بخيبة أمل إذا ما صادفوا فتى كشافة غير شهم أو ضابط شرطة ظالم، فيكرهون كل فتيان الكشافة ويشمئزون من كل رجال الشرطة، وهذا بالطبع كلام فارغ

ثالثًا: يؤدي الفهم الخاطئ للعبارات التوجيهية إلى المزيد من الإحباط وخيبة الأمل حينما يظن الناس أن تلك العبارات تعدهم بشيء هي في الحقيقة لا تعدهم به. وهناك مثال شائع على ذلك وهو أن يشتري الناس أدوية نزلات البرد التي لا يستلزم شراؤها وصفة طبية ظانين أن الدعاية المروجة لتلك الأدوية قد وعدتهم بعلاج البرد أو الوقاية منه، والحقيقة أن من يكتبون هذه الإعلانات تحت الرقابة اليقظة للجنة التجارة الاتحادية الأمريكية يحرصون على تفادي القول الصريح بأن الأدوية التي يروجون لها تشفي أو تقي من أي شيء من ذلك، يقولون إنها "تساعد على التقليل من حدة العدوى" أو "تساعد على تخفيف أعراض البرد" أو "تساعد في الحماية من الزكام ومتاعب البرد الأخرى". فمن يشعر بعد قراءة هذه الإعلانات أنها تعده بالشفاء من البرد أو الوقاية منه، فهذا الشخص تحديدًا هو المغفل الذى تبحث عنه تلك الإعلانات (أما إذا اشتريت المنتج وأنت تعلم بالتحديد ما يعد به وما لا يعد به، فهذا بالطبع شأن آخر).

وتفهم العبارات التوجيهية بطريقة خاطئة أيضًا حينما يظن الناس أن الوعود التي تحملها أكثر تحديدًا وتخصيصًا مما هي عليه في الواقع، فمثلاً عندما يعد أحد المرشحين السياسيين بمساعدة الفلاحين وتعطيه صوتك لأجل هذا الأساس ثم تجد أنه يساعد الفلاحين الذين يزرعون القطن ولا يساعد الذين يزرعون البطاطس وأنت ممن يزرعون البطاطس، فلا يمكنك في الحقيقة أن تتهمه بمخالفة وعده. وإذا وعد مرشح آخر بحماية اتحاد العمال ثم تجد أنه يعمل بعد انتخابه على إصدار تشريع يثير حفيظة مسئولي الاتحاد ويصفه بأنه تشريع لحماية أعضاء الاتحاد من قياداتهم المستغلة، فلا يمكنك في هذه الحالة أيضًا اتهامه بأنه قد أخلف وعده؛ لأن ذلك قد يكون مفهومه الحقيقي عن حماية اتحاد العمال وبالتالي فإن ما اتخذه من إجراءات متفق تمامًا مع ذلك المفهوم، فالغموض في خطب الحملات الانتخابية والتباس معانيها أمر معروف للجميع.

إن السياسيين في أغلب الأحيان متهمون بمخالفة وعودهم ولا شك أن الكثير منهم يفعل ذلك، على الرغم من أنهم في بعض الأحيان يقطعون وعودًا تمنعهم من تنفيذها ظروف المستقبل، ولكن يجب الانتباه إلى أنهم في معظم الأوقات لا يقطعون كل هذه الوعود التي يظن الناخبون أنهم يقطعوها. فمثلًا مناهج الأحزاب الكبرى غالبًا ما تصاغ بدرجة عالية من التجرد فى الألفاظ والمعاني فتجد لها صدى عند الجميع؛ لأنها تحاول أن ترضي الجميع، غير أن الناخبين كثيرًا ما يظنون أن تلك المناهج تعني

شيئًا أكثر تحديدًا مما هي عليه في الواقع (أي يطنون أنها على درجة أقل من التجرد). إن الناخب إذا أصيب بخيبة أمل في مرشحه السياسي يكون المرشح مخطئًا ويجب عليه تحمل اللوم وأحيانًا أخرى يكون الناخب هو الأحق بتحمل الوهم؛ لأنه هو الذى صدق وهمًا منذ البداية نتيجة خلطه بين الدرجات المختلفة للتجرد في الألفاظ والمعاني.

التعليق على الترجمة:

المقدمة:

اللغة وسيلة اجتماعية وأداة من أدوات التفاهم بين الأفراد والمجتمعات، وهي وسيلة الأفراد في مواجهة مواقفهم الحياتية اليومية من كلام، أو استماع، أو كتابة أو قراءة؛ حيث إنه من خلال استخدام الفرد للغة يستطيع أن يتحدث وفقًا لأعراف وتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليه وعاداته وتقاليده.

والمجتمع حريص على أن يصطبغ أفراده بفكره وسلوكه، ومن خلال اللغة يتحقق هذا الهدف وفق بيئات المجتمع المختلفة كالمدرسة والنادي والبيت والعمل، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة وثيقة وعظيمة، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

ومن خلال (لغة التوجيه الاجتماعي) يحاول هذا البحث دراسة حقائق لغوية لفهم المجتمع وطبيعة سلوكياته ليصبح أكثر قدرة على التنظيم والتفكير وتحقيق درجة من التقدم للمجتمعات الإنسانية؛ لأن اللغة تفتح آفاقًا واسعة للإبداع من خلال ضبط سلوك الأفراد وما يتبعها من حقوق والتزامات، ومن خلال العقوبات التي يعاقب بها الأفراد حين يخل أحدهم بما اتفق عليه المجتمع.

ولكون البحث المقدم وهو عن العلاقة بين اللغة والتوجيه الاجتماعي (The language of social control) من كتاب (Language in thought and action) مترجمًا عن بيئة اجتماعية تختلف سلوكياتها ومعتقداتها وأعرافها من جهات عدة وبأشكال مختلفة عن الواقع العربي فقد حاولت الباحثة قدر الإمكان تطويع الأمثلة وتغييرها أوعلى الأقل محاولة الإفادة منها لتتلاءم مع مجتمعاتنا العربية؛ لأن البحث يهدف في نهاية الأمر إلى خدمة المجتمع ومحاولة زيادة فهمه لتصبح مجتماعتنا العربية أكثر تميزًا وتقوم بدورها في خدمة البشرية.

التمهيد : (لغة التوجيه الاجتماعي):

والفكرة العامة له تدور حول العلاقة بين ما تحدثه الكلمات التي يطلقها الأفراد والأحداث المستقبلية، أي التحكم بالمستقبل من خلال الواقع، وتوجيه السلوك البشري بما يعرف بالاستخدامات الموجهة بعدة طرق وعناصر سواء منها اللفظية أو غير لفظية.

وأستعرض الآن الأفكار الفرعية المنطلقة من الفكرة العامة للفصل وذلك على النحو التالي:

الأفكار الفرعية ومن أهمها ما يلي:

١- إن الكلمات تؤثر على المستقبل وتتحكم به لذلك يتجه الكتاب إلى الوعظ وإلقاء الخطابات، فمن الممكن أن أرسم خريطة لتثبيت وجودك على أرض الواقع وفرض بعض التوقعات لما تزمع إنشاءه وإحداثه، فقد حدد موعدًا في الغد الساعة الثانية ظهرًا لمقابلة شخص ما، ومثل تلك العبارة سوف تؤثر على الأحداث المستقبلية وسيبدي الفرد ردة فعل تجاه ما سيحدث في المستقبل (الموعد).

٢- لكي يكون للغة دور في سلوكنا يجب أن تقرن بالعاطفة وذلك من خلال:

أ- التغير في طبقات الصوت بشكل مؤثر ومفاجئ حتى لو كانت هذه الأصوات عبارة عن ضوضاء وتؤثر في مشاعر المستقبلين والحضور.

ب- استخدام وسائل غير لفظية لاستثارة العاطفة، فإذا قلت لشخص "تعال هنا" فإننا من الممكن أن نقرن ذلك بإشارة أيدينا، وقد يقيم من يسعى إلى منصب حكومي مهم باستمالة العاطفة عبر مآدب العشاء، والفرق الموسيقية النحاسية.

ت- قد يسعى أصحاب الشركات التجارية إلى خلق أوهام وخيالات لتسويق منتجاتهم، فيربطون بين المنتج والجنس الآخر، ومثال ذلك ما نجده من ربط بين السيارة الجميلة الفاخرة والمرأة الجميلة أو بين منتج ما وممثلة جميلة مشهورة.

٣- هناك وعود ضمنية، وأخرى صريحة للغة والعبارات التوجيهية إذا قمنا بفعل شيء فسنحقق نتائج معينة، فحين يلجأ بعض المرشحين في الانتخابات إلى إطلاق وعود مثل تخفيض الضرائب أو أنه سيحمي الحقوق المدنية، أو ما نجده في لغة بعض المحطات التلفزيونية التي سوف يتابعها المشاهد وسيستمتع بأحدث الأخبار وسرعة وصولها إليه.

٤- اللغة التوجيهية تحاول إخبارنا بتحقيق الاحداث التي نرغب فيها وأن نتلافى الأحداث غير المرغوب فيها، وألا تثير اللغة التوجيهية التوقعات الكاذبة، كأن يعد السياسي ناخبيه بوعود معينة ثم لا يفي بها، فإنه من شأن الأمر هذا أن يصيب أفراد المجتمع بالإحباط ، وتدمر الثقة المشتركة بين البشر.

٥- أساسات المجتمع: هناك أعراف اجتماعية تلزم المواطنين وتوجه أنماط السلوك الاجتماعي، فالجنود ينبغي لهم أن يتصفوا بالشجاعة والقاضي ينبغي له أن يلتزم بالعدل.

فالأوامر والأعراف التي يعتبرها المجتمع ضرورية تتسم بالحزم ليدرك أفراد المجتمع المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

لذلك تتسم الأوامر الخاصة بالمجتمع بأن لغتها:

أ- تحمل دلالات عاطفية.

ب- تحث على التوسل لله وتكثيف الدعاء له.

ت- تؤكد أن الفرد سوف ينال العقاب الإلهي إذا لم يلتزم بالوعود.

ث- تبين أن هناك ضوابط تمهيدية قبل تلك الوعود.

ج- تبين أن بعض الحركات الجسدية مصحوبة باللغة التوجيهية لترسخ بالأذهان.

ح- إقامة المآدب أو الرقص في الثقافات البدائية.

خ- التكرار في العبارات له دور كبير في ترك أثر بالغ في الذاكرة الجمعية فتحية العلم يوميًا لها أثر في ترسيخ قيم المواطنة.

الحقوق:

الضمير (ياء) في سيارتي أو كتابي، وانتقال هذه الملكية إلى شخص آخر هو عبارة عن اتفاق اجتماعي يحدد تصرفاتنا تجاه الأشياء، فحين أملك كتابًا أو قلمًا فإنه وفق ذلك لا يحق لشخص آخر التصرف منه وحين تنتقل ملكيته لي فأنا أتصرف فيه وحدي، وهو مرتبط بالأوامر التوجيهية فملكيتي للشئ تعد توجيهًا بحد ذاته لسائر أفراد المجتمع برفع أيديهم عما أملكه.

القضيه المرتبطه بالأفكار السابقة :

وفقاً لما سبق من فكرة رئيسة وأفكار فرعية فإننا من الممكن أن نربط ذلك بالهدي النبوي والحديث النبوي الشريف، وقد سبق الخطاب القرآني في ذلك وطريقته في التواصل الإنساني في تغيير من السلوك الإنساني وموافقته للطبائع البشرية المختلفة التي منها من يقتنع بالبرهان ومنها من يقتنع بإعمـــال العقـــل والفكـــــر وبالتدرج في إيراد الحجة، وايراد الأمثله والقياس عليها فقد أشار الله تعالى فى محكم كتابه **(ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى)** سورة طه (الآية ٥٠) أي إن ربنا الذي خلق جميع المخلوقات وأعطي كل مخلوق خلقه اللائق به الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلي ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة فى جميع المخلوقات فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق من المنافع، وفى دفع المضار عنه، حتى أن الله أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به على ذلك، ويشير إلى المعنى السابق الزمخشريُ في الكشاف قائلاً: (أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه، أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن والشكل الذي يوافق الاستماع، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان، كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه، أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين، والبعير والناقة والرجل والمرآة فلم يزاوج مها شيئًا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه)[١].

وللهدي النبوي وسائل لتتعامل مع النفس البشرية لأن (الأحاديث النبوية هي أدلة على كثير مما جاء في القرآن الكريم، وخطاب الرسول مبعوث إلى الناس عامة وموجه إلى العقول التي تشترك في التزامها بالمنطق، وتسليمها بالبدهي، ولكن تتباين في أنماط تفكيرها، وبالتالي تتباين في أنماط استيعابها للحجج؛ لأن المخاطب لا يتحدث إلى عقول الناس فحسب، بل ينفذ إلى عواطفهم)[١]. واهتم الرسول بمعالجة النفس الإنسانية وسلوكياتها في كل خطوة من خطوات النفس البشرية؛ ليعم الخير على الفرد والمجتمع، واتسم حواره وتعاملاته بالتروي والأناة واللطف، وعلينا الاقتداء برسولنا عملًا بقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) سورة الأحزاب (الآية ٢١)[٢].

والحديث عن تعامل السنة النبوية في جميع مراحلها لا يتسع لهذه الدراسة إنما تحتاج إلى مبحثٍ خاص بها، وأسوق بعض الأمثلة بما يتطابق ويتوافق مع الدراسة العلمية التي بين أيدينا على سبيل المثال لا الحصر:

أ- فكان الرسول يلجأ إلى تشجيع المتعلم ويثني على أفعاله الحسنة ليزداد تحصيله العلمي، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر"[٣].

فكان الثناء والمدح باستخدام الضرب على صدر متلقي العلم (أبو المنذر)، وهى لغة جسدية تدل على الثناء والمدح والرضا، مما يعزز هذا الأمر من سلوك الفرد ويمنحه الثقة والتقدير، هذا من

(١) الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث ، موقع إلكتروني (الحوار اليوم)، ص١٤ آمنة بلعلي .
(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١) .
(٣) موقع إلكتروني (الدرر السنية، الموسوعة الحديثة) الراوي أبو ذر الغفاري، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم ص٢٦٢٦ خلاصة الحكم: حديث صحيح.

جانب، ومن جانب آخر فإنه صلى الله عليه وسلم يبتسم في وجه أصحابه كما جاء في الحديث النبوي: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"(١).

ولغة الابتسامه تمنح المتلقي الارتياح والرضا النفسي؛ ليشمل ذلك حتى جميع المتواجدين من صحابة رسول الله، فالأحاديث السابقة هي إشارات عابرة لمنهج رسول الله في توجيه السلوك الإنساني والتعامل مع النفس البشرية بالابتسامة أو الضرب على صدر صحابته، لما يعزز الخلق القويم عبر الثناء بالضرب أو سلوك الابتسامة.

ولم يقتصر السلوك النبوي مع الصحابة في أوقات السلم بل (كانت الفضيلة تتجلى في حرب النبى صلى عليه وسلم عندما أخذ يرسل الجيوش إلى الجهات النائية، فقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر جيشه بالتأني قبل أن يتقدم للقتال، وكان يدعو المومنين ألا يتمنوا القتال؛ لأنه امتحان القلوب، وهدم الأجسام، فكان عليه الصلاة والسلام يقول (لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا)(١) .

وعندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قائدًا أوصاه بقوله: (لا تقتلوهم حتى تدعوهم، فإن أبو فلا تقاتلوهم، حتى يبدأوكم، فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ثم أروهم ذلك، وقولوا لهم: "هل إلى خير من هذا سبيل فلأن يهدى الله على يديك رجلاً واحدًا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت" وكما ذكرت فإن المدرسة النبوية واسعة ومتشعبة في هذا المجال، وأوردت ما سبق على سبيل المثال في أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد سبقا ما أشرنا إليه في بداية الدراسة في لغة التوجيه الاجتماعي من أساليب لفظيه أو غير لفظية.

والقضية الأخرى المرتبطة بأفكار البحث، هو ما يعرف بنظرية أفعال الكلام (Theory of speech act) التي تنظر إلى لغة باعتبارها ليست للإخبار ونقل الأفكار فقط، بل تؤدي وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين (فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، إنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني)(٢).

المعنى السابق يتفق مع ما جاء في النص من قول المؤلف:

(WITH WORDS ,THER ARE WE INFLUNCE AND TO AN ENORMOUS EXTENT CANTROL FUTUREVENTS. IT IS FOR THIS REASON THAT WRITERS WRITE . PREACHERS PRECH EMPLOYERS, PARENTS… ALL OF THEM… FOR VARIOUS REASONS, ARE TRYING.(3))

ويشير د/ طالب سيد هاشم الطبطبائي لما سبق بقوله (لما كانت اللغة الغنية بمجموعات من التركيبات التي تعطي معنى أساسيًا واحدًا من إخبار وطلب وتهنئة... إلخ ومعان ثانوية متفاوتة، مما يستدعي الدقة في اختيار البديل المناسب عند إرادة التعبير عن ذلك المعنى الأساسي بحسب ما يقتضيه حال المخاطب من حالات نفسية وظروف واقعية وعلاقات اجتماعية بين أطراف المخاطبين، وتحديد الربط المناسب بين مجموعة الأحوال ومجموعة التركيبات البديلة بالنسبة لمعنى أساسي واحد.(٤)

---

(١) موقع إلكتروني الدرر السنية، الموسوعة الحديثة الراوي: أبي بن كعب، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، ص٨١٠ خلاصه الحكم المحدث : الحديث الصحيح.

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف تنجز الأشياء بالكلام) أوستين ترجمة: عبدالقادر قنيني ، ص٦.

(3) LANGUAGE IN THONUGHT AND ACTION, p. 65.

(٤) نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، ص٢.
وانظر المعنى في لغة الحوار، د/ جيني توماس ص٤٦،٤٧
وانظر المحاورة (مقاربة تداولية)، د/ حسن بدوح ص١٥٧' فذكر (الفعل اللغوي الذي يعد شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعي إنه يمثل الممارسة اللغوية والتفاعل التواصلي). وانظر تداوليات الخطاب السياسي، أ/ نور الدين اجعيط ص٩٥

ويؤكد د/ محمد السيد علوان (بأن اللغة دائمًا تحتوي على نمط مثالي للتحدث، وينبغي على أفراد المجتمع أن يتوافقوا مع هذا النمط بقدر الإمكان، ولا بد أن تستوعب اللغة كل جديد يحدث ويطلق على هذه العملية اسم (التوافق الثقافي) بمعنى ولادة مفردات جديدة مناسبة للأنماط الثقافية الجديدة وموت أخرى فقدت وظيفتها وقدرتها على التوافق[١].

ولا شك أن موافقة مقتضى حال المخاطبين وظروفهم النفسية والاجتماعية لها جذور في الثقافة العربية الإسلامية، ولقيت عناية فائقة من علمائنا المسلمين، فالنص القرآني نزل مجزءًا على مدار بضع وعشرين سنة، والقرآن في جوهره دعوة للتأمل في الكون والإنسان والعالم، وقدرة الله فيهم، ومحاولة الربط بين الأمور الثلاثة مع اختلاف تسمية المصطلحات في فروع العلوم الإنسانية المختلفة والتي بلا شك تهدف لرقي المجتمعات الإنسانية.

الخاتمة:

تناول هذا البحث (لغة التوجيه الاجتماعي) (LANGUAGE IN THOUGHT AND ACTION) من كتاب THE LANGUAGE OF SOICAL CONTRL فأشار إلى أنها تحتاج إلى مزيد من البحث، فعرض لعدد من مظاهر اللغة الموجهة، والتى لها تأثير فى حدوث الأشياء، واستعمال الرمز بدلاً عن اللغة المباشرة ومحاولة التنبؤ بالأحداث المستقبلية، وتأثير الإعلانات والدعاية التجارية والانتخابية فى تصرفات الناس.

تحدث البحث أيضًا عن مدى تأثير تلك اللغة العربية في توجيه سلوكيات البشر في مناسباتهم وأوضاعهم المختلفة وارتباط ذلك بإقامة بعض الطقوس، وأداء اليمين ومحاولة الالتزام والوفاء بها.

وتناول البحث أيضًا تأثير اللغة الموجهة فى الدعوة الملمح إليها وارتباط ذلك بالأحداث المستقبلية الموجودة ذهنيا، وتحاول تمثيلها على أرض الواقع، وهي في الحقيقة لا تعدو أن تكون خرائط معدة (لأقاليم الأحداث) مما لها تأثير في توجهات الأشخاص المستهدفين بتلك اللغة.

أما بالنسبة لموضوع (التوافقات) التى تواضع عليها المجتمع وما يتبع ذلك من حقوق والتزامات والعقوبات التى تطال الفرد إذا أخل بتلك التوافقات الاجتماعية، فإن هذا الأمر يرتبط بمسألة اللغة الموجهة وارتباطها بالعقوبات، وكل ذلك يدخل في نطاق اللغة التوجيهية التي تحدد ما للفرد من حقوق وما عليه من التزامات وفق القوانين المحددة لذلك.

الخلاصة:

تعيش اللغة فى المجتمع وتتعايش معه، وهى وسيلة في التفاهم والتعامل والتخاطب، ومعبرة عن رغباته، فتضعف بضعفه، وتقوى بقوته، ولقد عايشت اللغة الإنسان منذ حياة البداوة حيث البساطة وتحولت حياته بظهور الاسلام فاكتسبت لغته ملامح المجتمع الإسلامي.

وقد عبر ابن جني (ت ٣٩٢ هـــ)عن ذلك بقوله (اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).
فاللغة هي الوسيلة التي تعين أفراد المجتمع على تأصيل قيمه الحميدة وسلوكياته وعاداته التي توافقت عليها المجتمعات الإنسانية في أي زمان ومكان .

---

(١) علم اللغة الاجتماعي ، د/ محمود جلال الدين سليمان ، صـــــــ١٧.

ويؤكد ما سبق د/ محمود جلال الدين سليمان بقوله (اللغة أقرب الأنشطة فاعلية عند استقصاء ملامح مجتمع معين أو الوقوف على مدى تبلور تكون تقاليده الاجتماعية بين الأفراد بالتوغل في طيات اللغة، وتحليل وظائفها الإنشائية لكل مسار لغوي، وكل فعل تواصلي كلامي أو الوقوف على الفوارق اللغوية فى كل موقف اجتماعي، وتصوير السلوكيات الفردية ووصفها واستعمالات اللغة بحسب الأوساط الاجتماعية والكشف عن مدى تأثرُّ النظام اللغوي بالنظم الاجتماعية)[1].

مراجع الدراسة:

أولاً : المراجع العربية:

١- الحوار في السيرة النبوية ، د / السيد على خضر أستاذ العلوم اللغوية المشارك (كلية التربية – جامعة المنصورة) البحث الفائز بمسابقة السيد / حسين الشربتلي للتعريف بنبي الرحمة .
٢- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف تنجز الأشياء في الكلام) ، أوستين ، ترجمة عبدالقادر قينيني ، أفريقيا الشرق ١٩٩١ .
٣- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، طالب سيد هاشم الطبطبائي ، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٩٤
٤- المعني في لغة الحوار ، د/ جينى توماس ، ترجمة: د/ نازك إبراهيم عبدالفتاح ، دار الزهراء (الرياض) الطبعة الأولي ٢٠١٠ .
٥- المحاورة (مقاربة تداولية) ، د/ حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث ٢٠١٢ ، الأردن ، الطبعة الأولى.
٦- تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين أجيعط ، عالم الكتب الحديث ٢٠١٢، الطبعة الأولى، الأردن .
٧- علم اللغة الاجتماعي وتطبيقاته في تعليم العربية ، د/ محمود جلال الدين سليمان عالم الكتب الحديث ٢٠١٠، الطبعة الأولي ، القاهرة .
٨- المجتمع وقضايا اللغة، د / محمد السيد علوان ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ .
٩- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المحقق: محمود بن عمر الزمخشري أبوالقاسم جارالله ، دار المعرفة ، م١، ٢٠٠٩ ، طـــ٣ .
١٠- المرجع في السيرة النبوية (خاتم النبين صلى الله عليه وسلم) ، الأمام محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ٢٠١٢ .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Language in thought and action
S.I Hayakawa and Alan R.Hayakawa Fisth Printed in the united states of Amercia
with an interoduction by Robert Macneil

ثالثاً : مواقع إلكترونية:

١ – موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثة .
٢ – موقع (الحوار اليوم) .

(١) قضايا اللغة علوان (محمد السيد) المجتمع، ص٣٦